

أوجه التشابه والاختلاف بين منهج المفسرين ومنهج المحدثين

ضياء صلال حاتم الزوبعي¹، فضلان محمد عثمان²، مرادمولود امجد³، سمير بشير شعلول⁴، عماد حمد عبد الله⁵، محمد صبار طه⁶، ضياء علاوي أحمد⁷، محمد عبد الحميد صليبي⁸

Email: ¹hajedhia@gmail.com & ²fadlan@ukm.edu.my

¹طالب ماجستير في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ²المحاضر في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ³طالب ماجستير في قسم علوم الحديث جامعة المدينة العالمية. ⁴طالب ماجستير في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ⁵طالب دكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ⁶طالب دكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ⁷طالب ماجستير في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية. ⁸طالب دكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية الماليزية.

Abstract

The scientists have exerted great efforts in explaining the verses of the Quran through different ways. Each interpreter has his or her own approach and style to do so. The interpreters and commentators' sources have varied and their ways and their approaches also have varied according to their different intellectual schools. This would require a study both of the approaches in terms of methods of reasoning in the interpretation and showing of the aspects of similarities and differences between them. The study used the approach of extrapolating of texts and comparison of them. The study concluded that the commentator's approaches differ from the interpreters' approaches. The commentators' approach depends on the criticize of Sindh and tenderloin and showing the difference between the narrators, inspection in the narrator's speech, differentiate the right Hadith than others, revealing the topic, great interest in Sunnah. Thus, the commentators' approach are characterized by all the previous characteristics which are based on their comparative, objective, holistic, analytical, idiosyncratic, scientific and linguistic interpretation which differ from the commentators' approach in terms of similarities and differences between them.

Keywords: *the similarities, differences, the commentators, the interpreters.*

المخلص

إن للعلماء جهود عظيمة في تفسير آيات القرآن العظيم بطرق متعددة ولكل مفسر منهجه وأسلوبه فيه، وقد تنوعت مصادر المفسرين والمحدثين واختلفت طرقهم ومناهجهم تبعاً لاختلاف مدارسهم الفكرية. وهذا الأمر يستلزم دراسة كلا المنهجين من حيث طرق استدلالهم في التفسير وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهم. واستخدمت الدراسة منهج استقراء النصوص والمقارنة بينها. وتوصلت الدراسة أن مناهج المحدثين تختلف عن مناهج المفسرين إذ يعتمد منهج المحدثين على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة، والتفتيش في حديث الراوي، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وكشف الموضوع، والاهتمام الكبير بالسنة النبوية، وبذلك يتميز منهج المفسرين الذي يعتمد في تفسيرهم على المقارن والموضوعي والإجمالي والتحليلي والفقهية والعلمية واللغوية، عن منهج المحدثين من حيث أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

الكلمات المفتاحية: *أوجه التشابه، الاختلاف، المفسرين، المحدثين.*

1. أوجه التشابه والاختلاف

المقدمة

إن القرآن الكريم هو الأساس المحدد لعقيدة أمة الإسلام ومنهجها، وهو مصدر التشريع الأول لها، ومن هنا تأتي أهمية فقه معانيه وتدبرها والتفتيش عن أسرارها ثم العمل بما فيه لتحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالى، وسعادة الأمة وأبنائها. ولأن الناس غير متساوين في فهم ألفاظ القرآن وعباراته وتدبر معانيه فإنه يلزم وجود تفاسير القرآن للمساعدة في تدبر معانيه.

ولا يشك مسلم في أن شرع الله - تعالى وهدى يتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ولذلك قال - تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وقال ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"، فالكتاب والسنة هما الشرع الحنيف، والدين القيم، من تمسك بهما رشد، ومن حكم بهما عدل، ومن عمل بهما أجر، ومن التزم بهما هُدي إلى صراط مستقيم، قال ﷺ: "تركتم فيكم أمرين لن تضلوا بعدي إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي".

إن الحديث عن منهج المفسرين هو من الأمور المهمة في حياة كل المشتغل بالعلم، حيث أن لكل مفسر منهج واتجاه يسير عليه في تفسيره، "واختلفت مناهج المفسرين وفقاً لاختلاف المذاهب الفقهية والعقيدة" (التيامي 1979 م).

2. مناهج المفسرين

ومن المعلوم أن مناهج المفسرين هي من العلوم المستحدثة والتي دعت الحاجة إليها، حيث لم تكن موجودة في الصدر الأول للإسلام ولهذا كان اهتمام المسلمين بدباية هو تلقي وحفظ ما ينزل من قرآن على رسول ﷺ،

ونظراً لانتشار الدين الإسلامي في الأفق والأمصار وتنوع سالكه والداخلين فيه وتنوع ثقافتهم، وكثرة المفسرين لكتاب الله تعالى، من شتى بقاع الأرض ومن مختلف الأقوام والشعوب والأوطان، دعت الحاجة لمعرفة طرائقهم ومناهجهم في التفسير، فالمناهج هي معرفة أشهر المفسرين وطرائقهم التي يسبغونها في شرحهم لكتاب الله تعالى، ليكون من يريد أن يتصفح تفسيراً منها على بصيرة من الكتاب الذي يريد أن يقرأه، وعلى بينة من لونه ومنهجه، حتى لا يغتر بباطل أو يندفع بسراب" (الذهبي، د.ت)، فالمناهج أيضاً هي الطرق التي سلكها المفسر في تفسيره. وأشرنا إلى أن أنواع تفاسير القرآن تتعدد وفقاً لمدخل التفسير والهدف منه والقائم عليه، وتتعدد أيضاً مناهج التقسيم وفقاً لمعيار التقسيم. وأن ابن عباس رضي الله عنه جعل التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهلته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله (القاسمي، 1418 هـ).

يتبين لنا أن مناهج المفسرين كان لها دورا بارزا ومهما في إرساء الفهم بين عامة المسلمين لكتاب الله تعالى وبيان معانيه وأحكامه، وأن له الفضل في إرساء هذا البيان لكتاب الله بين سالكه في كافة الأمصار بالرغم من كثرة الداخلين فيه وتنوع ثقافتهم. ونظراً لكثرة المفسرين لكتاب الله تعالى من شتى بقاع الأرض، دعت الحاجة إلى معرفة طرائقهم ومناهجهم في التفسير.

"واختلفت مناهج المفسرين وفقاً لاختلاف المذاهب الفقهية والعقيدة"، (التميمي، 1979م) ومعرفة مناهج المفسرين مهم لأن التفاسير لكتاب الله جلّ وعلا كثر حتى بلغت أكثر من مائة من التفاسير الموجودة بين أيدينا اليوم، والتفاسير المفقودة كثيرة والتي لم تطبع أيضاً كثيرة، فلا بد لطالب العلم الذي يحرص على معرفة معاني كلام الله - جلّ وعلا- أن يعلم مناهج أولئك المفسرين وطرائقهم، ويعلم منهج المؤلف حتى لا يضيع بين كثرة التفاسير، "ثم تعددت مناهج المفسرين بعد ذلك، فنجد من المفسرين من اعتنى بجمع التفسير المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين، مثل: ما رواه البخاري في تفسير قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) (البقرة: 187) فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟ قال: (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار)، (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (1407، 1987)، ومن المفسرين أيضاً من اعتنى بالجانب اللغوي من القرآن على نحو ما نجد في كتب (معاني القرآن) مثل قوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فهي إسمان من الرحمة، الرحيم والرحم بمعنى واحد كالعليم والعالم. (الرحمن الرحيم: اسمان) مشتقان (من الرحمة). وزعم بعضهم أنه غير مشتق لوقولهم: وما الرحمن؟ وأجيب بأنهم جهلوا الصفة لا الموصوف، ولذا لم يقولوا ومن الرحمن؟ وقول المبرد فيما حكاه ابن الأنباري في الزاهر الرحمن اسم عبراني ليس بعربي قول مرغوب عنه، والدليل على اشتقاقه ما صححه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي" أو الرحمن: فعلم أن رحم كغضبان من غضب، والرحيم: فعلم منه كمريض من مرض، وأسند ابن جرير عن العرزمي أنه قال: الرحمن لجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين. وقال تعالى: (الرحمن على العرش استوى) (طه: 5) وقال تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيماً) (الأحزاب: 43). فخصهم باسمه الرحيم، فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاص بالمؤمنين، وبعض المفسرين من اعتنى بآيات الأحكام الفقهية، كما في كتب (أحكام القرآن). مثل: الأسباب الأخرى الموجبة للاغتسال وهو الحيض في قوله: { وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } [البقرة: 222]، فأضاف التطهير فيها إلى البدن كله كالجنابة، ويشمل ذلك النفاس، وأما التطهير من إسلام الكافر وتطهير الميت فإنه يؤخذ من السنة. وكذلك ما استدل به كثير من أهل العلم في قراءة الجر في قوله: { وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ } أنها تدل على مسح الخفين الذي بينته السنة وصرحت به، وأما قراءة النصب في (أَرْجُلُكُمْ) فإنها معطوفة على المغسولات (السعدي 1422 هـ).

وهكذا تعددت مناهج المفسرين وكثرت التفاسير، وهي تعكس في ذلك تنوع ثقافة العلماء في العصور الإسلامية، وتنوع اهتماماتهم العلمية أيضاً.

ولم ينقطع جهد علماء المسلمين في توضيح معاني القرآن في أي عصر من العصور، إلا أن طبقة العصر وثقافة أهله كانت تنعكس على مناهج المفسرين، ومن ثم فلا غرابة أن نجد في العصر الحديث نزعات تجديدية في تفسير القرآن

: "لقد كان المفسرون للقرآن كثيرين في كل عصر من العصور الإسلامية، وكان لكل واحد منهم منهج خاص في تفسيره يتميز به عن غيره، كما أن المفسرين كانوا على صنفين. صنف كان تفسيره بالمأثور، وصنف آخر كان تفسيره بالرأي.

وكذلك مناهج المفسرين تتنوع وتختلف من مفسر إلى آخر، كل حسب المنهج الذي سلكه وارتضاه لنفسه واقتنع به. "واتخذت مناهج المفسرين في تفسير كلام الله عز وجل أحد مذهبين:

الأول: التزام الوارد في تفسير الآية عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو التابعين، دون سوق أي زيادة على ذلك، اللهم إلا أن تكون شرحاً لغوياً لكلمة أو كشفاً عن إعراب جملة أو نحو ذلك وقد أطلق على هذا المسلك فيما بعد اسم «التفسير بالمأثور».

الثاني: عدم التزام الاقتصار على ذلك، بأن يتجاوز المفسر حدود الوارد والمأثور في تفسير الآية، إلى استنباطاته الخاصة من دلائل الصيغة أو قواعد العلوم، إذا كان اللفظ قابلاً لحمل المعنى المستنبط، وقد تكون هذه المعاني المستنبطة مباحث من علوم وفنون مختلفة غير التي تدل عليها الآية من قريب. " (البوطي 1420 هـ / 1999 م)، (ويسمى التفسير بالرأي).

إن جهود العلماء لم تنقطع في أي عصر وزمان من توضيح وبيان معاني القرآن الكريم ولهذا نجد لكل عصر ومرحلة من المراحل التي مرت بها الأمة رجالها من المفسرين للقرآن الكريم، وعلى حسب العصر والمرحلة التي نشأوا وعاشوا فيها، فمثلاً نجد أن مناهج المفسرين في العصر الأموي تختلف عن مناهج المفسرين في العصر العباسي، وهكذا على اختلاف العصور والأزمان.

الخلاصة

من خلال استعراض مناهج المفسرين نجدها من العلوم المستحدثة والتي دعت الحاجة إليها، بالرغم من أنها لم تكن موجودة في الصدر الأول للإسلام، وذلك نظراً للانتشار الديني الإسلامي في الأفق والأمصار ولكثرة المفسرين للقرآن الكريم من شتى بقاع الأرض ومن مختلف الشعوب والأوطان، مما يلزم على المهتمين بهذا الجانب من دراسة ومعرفة مناهج المفسرين وطرائقهم التي يسبرون عليها، ولوحظ اختلاف مناهج المفسرين وفقاً للاختلاف في مذاهبهم الفقهية والعقدية، حيث أضح لنا، أن من المفسرين من أعتنى بالتفسير المأثور ومنهم من خاض في التفسير بالرأي، ومنهم من استخدم التفسير اللغوي وبعض المفسرين من أعتنى بآيات الأحكام وهكذا تتنوع وتختلف من مفسر إلى آخر، كل حسب المنهج الذي سلكه ورتضاه لنفسه وقتنت به.

3. مناهج المحدثين في التفسير

إن للمحدثين مناهجهم الخاصة بهم، والتي تختلف عن مناهج المفسرين عموماً، إذ يعتمد مناهج المحدثين على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة، والتفتيش في حديث الراوي، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وكشف الموضوع، والاهتمام الكبير بالسنة النبوية "الذي يستند على نقد السند والمتن أيضاً، وبيان ما فيها من التهاوت والتناقض والتكاذب." (أبو البقاء الهاشمي، 1419هـ/ 1998م). إذ إن من منهج المحدثين هي معرفة ضعف بعض متون السنة مخالفتها للقرآن الكريم (لراجحي، 1424).

أبرز سمات مناهج المحدثين المتقدمين:

تميزت طريقة المحدثين المتقدمين بمزايا، جعلتها تختلف عن طريقة المتأخرين، وقد ساعدتهم في ذلك قريبتهم من عصر النبوة، وقوة ضبطهم، وسنعرض أهم سمات منهجهم فيما يلي

1- **الاختلاف بين الرواة:** إذا كان ثمة اختلاف في وصل وإرسال أو رفع ووقف أو زيادة ونقص ونحو ذلك، فإنهم حكمهم يكون مبنياً على التأمل الدقيق في أحوال الرواة المختلفين، والتأمل التام في المتن المروي، فلا يحكمون للواصل مطلقاً سواء كان ثقة أو غير ثقة، ولا يحكمون للمرسل أيضاً مطلقاً، وكذا الزائد والنقص وغيره، وإنما يتأملون في ذلك، فإن دلت القرائن على صواب المرسل حكموا به، وإن دلت على صواب الواصل حكموا به، وهكذا بقية الاختلافات، وهذا أمر ليس بالهين، بل يستدعي بحثاً دقيقاً، ونظراً متكاملًا، وتأملاً قوياً في الموازنة بين ذلك، وإنما ساعدتهم على هذا سعة حفظهم وقوة فهمهم وقريبتهم من عصر الرواية، كاعتناء الإمام مسلم بضبط ألفاظ الأحاديث عند اختلاف الرواة فيها فمن ذلك أن الحديث إذا كان عنده عن غير واحد وألفاظهم فيه مختلفة مع اتفاقهم في المعنى قال فيه أخبرنا فلان وفلان واللفظ لفلان قال أو قال أخبرنا فلان فجاز قال نظراً إلى أنهما عن المعنى وله عن هذا عبارة أخرى حسنة كما في قوله حدثني زهير بن حرب وابن أبي عمر كلاهما عن سفيان قال زهير حدثنا سفيان بن عيينة فاشعر بإعادة ذكر زهير خاصة بأن لفظ الحديث له خاصة (ابن الصلاح، 1408).

ولأجل هذا الأمر فإنهم لا يحكمون على إنسان بمفرده إلا بعد أن يتبين أن هذا الإسناد سالم من العلل، كما قال الإمام علي ابن المديني: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه". (المغربي، د.ت).

2- **التفتيش في حديث الراوي:** كانوا يفتشون في حديث الراوي حتى يميزوا القوي من غيره؛ لأن الراوي قد يكون ثقة، إلا أن في حديثه شيئاً في بعض الأحوال أو الأوقات أو عن بعض الشيوخ ونحو ذلك، فهم يهتمون بتمييز ذلك والتنبيه عليه، وبناءً عليه فقد يكون الحديث خطأ وإن كان راويه ثقة، ولأجل هذا فإنهم قد جعلوا أصحاب الرواة المشاهير على طبقات متفاوتة، بعضهم أتقن من بعض وهكذا.

3- **نقد المتن:** كانت لهم عناية خاصة بنقد المتن وتبيين عللها، والتنبيه على ما وقع فيها من خطأ وهم، وهذا كثير في كلامهم، وقد ألف الإمام الترمذي كتاباً خاصاً بذلك، ذكر فيه كل ما يتعلق بالعلل وقواعد نقد الحديث، ومثال على ذلك حديث عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد أنبأنا المسعودي وهاشم يعني بن القاسم ثنا المسعودي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب إنما عذابها في الدنيا القتل والبلابل والزلازل" قال أبو النضر بالزلازل والقتل والفتن، (ابن حنبل، 1421هـ - 2001م). وقد أشار شيخ الصنعة الإمام أبو عبد الله البخاري في التاريخ الكبير 1/ 39 بعد أن أورد طرق هذا الحديث وبين ما فيها من الاضطراب: والخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وأن قوماً يعذبون ثم يخرجون أكثر وأبين وأشهر. وهذا يدل على أن البخاري رحمه الله أضاف إلى اضطراب السند نقد المتن وأنه مخالف للأحاديث الصحيحة التي تكاد تكون متواترة بأن أناساً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون النار ثم يخرجون منها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. (ابن حنبل، د.ت)

4- اعتمادهم على قريبتهم: لم يكن الاعتماد على الكتب والمصنفات كبيراً، بل كان جُلّ اعتمادهم على ما حفظوه وتثبتوا منه.

منهاج المحدثين في القرن الأول والثاني والثالث الهجري

وهنا لا بد لنا أن ننظر إلى منهاج المحدثين في القرن الأول والثاني والثالث الهجري لكي نعرف منهاج المحدثين فهذه القرون الثلاثة الأولى لها أهمية كبيرة في نشوء حالات التدوين. وظهور المحدثين، وهنا لا بد من أن نلقي نظره سريعة على مناهجهم وحسب الفترات التي عاشوها.

1. منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري

هناك عدة مظاهر تدل على اهتمام الصحابة -رضي الله عنهم- بالسنة، ومن أهمها ما يلي:

الأول: الحرص على حضور مجلس رسول الله -ﷺ- لسماعه والرواية عنه والافتداء به والالتزام بأوامره وتوجيهاته.

ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر -رضي الله عنه- قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله -ﷺ- ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. (البخاري، 1407 - 1987)

الثاني: حرص بعضهم على سماع الحديث من الرسول -ﷺ- أكثر من مرة ليحدث به غيره، فقد جاء في صحيح مسلم قول عمرو بن غنيم -رضي الله عنه- بعد أن حدث بحديث: لقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة إلى أن أكذب على الله ولا على رسول الله -ﷺ- لو لم أسمع من رسول الله -ﷺ- إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى غد سبع مرات- ما حدثت به أبداً، ولكني سمعته أكثر من ذلك (أحمد بن حنبل)

1420هـ ، 1999م)

الثالث: كما حرصوا على أن تنقل أقواله -ﷺ- كما صدرت منه نقية.

2. مناهج المحدثين في القرن الثاني الهجري

إن المستجدات في عصر تابعي التابعين تغيرت الظروف عن عصر الصحابة والتابعين، وتطورت بعض الأمور، وظهرت بعض الملابس التي استدعت وضع مناهج ومقاييس وضوابط يستعين بها المحققون ونقاد الحديث في الكشف عن العلل والدخيل مما نُسب إلى النبي -ﷺ- كذباً؛ وذلك للحفاظ على السُّنة من الوضع، وصيانتها من الخطأ والتحرّف. (عبد المطلب د،ت).

- ويمكن تلخيص المستجدات فيما يلي:

1. وفاة الصحابة ومعظم التابعين الذين كانوا يحفظون سنة رسول الله -ﷺ-.
2. نزول الإسناد واستحالة لقيا جميع الرواة الموصّلين إلى النبي -ﷺ-.
3. ظهور المذاهب الفقهية، ومن ثم الاختلاف بين الأئمة ومحاولة توثيق ما عندهم من الأحاديث ومناقشة مخالفاتهم، وتمخض عن ذلك حركة كبيرة في توثيق السُّنة خاض غمارها الأحناف والشافعي وأصحاب مالك، رضي الله عنهم أجمعين.
4. كثرة الوضع في الحديث، وكثرة الخطأ فيه من قبل بعض المنتسبين إلى الإسلام من ضعاف الإيمان وأهل البدع.

3. مناهج المحدثين في القرن الثالث الهجري وحتى عصرنا الحاضر

يعتبر القرن الثالث الهجري أزهى عصور السُّنة بخدمة الحديث، ففيه ظهر أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث وأئمة الرواية، وخبراء الجرح والتعديل، كما سعد بالتأليف الخالدة والمصنفات الهامة في الحديث وعلومه المختلفة، وعلى رأسها الكتب الستة "صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه" التي جمعت أصول الإسلام وفروعه، وفيه أيضاً اعتنى أئمة الحديث بالكلام على الأسانيد والرجال، وبيان منزلتهم في الجرح والتعديل،

وربما يتسأل البعض فيقول ما هو سبب انتشار كتب المستشرقين بين صفوف أبناء الأمة الإسلامية بهذه الكمية والسرعة.

الجواب " مما لاشك فيه أن هناك أموالاً وحكومات وراء نشر كتب المستشرقين في العالم الإسلامي لأن هذا الغزو يحقق لأعداء الإسلام ما لم يحققه لهم الغزو العسكري.

و المهم أن نقول هنا: أن تخلي المسلمين عن منهجهم العلمي بعد تخليهم عن مفاهيم العقيدة الصحيحة وترك منهج المحدثين الذي هو أعظم منهج علمي وضع في تاريخ البشرية سبب مباشر يقف إلى جانب كيد المستشرقين في ازدياد هوة الانحراف الذي وقع في حياة المسلمين.

وخلاصة القول: إن كل من تأثر بالمستشرقين - فكراً أو منهجاً - لا يمكن أن يكون ولاؤه لدينه وأمنه صافياً صادقاً كما أن براءة لن يكون وفق التصور الإسلامي الصحيح (القحطاني، د،ت).

الخلاصة

يتضح لنا أن مناهج المحدثين تختلف اختلافاً واضحاً عن مناهج المفسرين عموماً، إذ يعتمد منهج المحدثين على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة وتميز الصحيح عن غيره، وتبين لنا أن طريقة المحدثين المتقدمين تختلف عن طريقة المتأخرين، وقد ساعدتهم في ذلك قريتهم من عصر النبوة، حيث رأينا أن لكل قرن سواء الأول أو الثاني أو الثالث وغيره له ميزة وسمة تختلف عن غيرها، ومما لاشك فيه أن أئمة الحديث أعتنوا إعتناء كبيراً بالأسانيد والرجال، وبيان منزلتهم في الجرح والتعديل.

ويمكن لنا القول أن تخلي المسلمين عن منهج المحدثين أدى إلى هوة والانحراف الذي وقع في حياة المسلمين.

4. أوجه التشابه والاختلاف في مناهج المفسرين والمحدثين

إن أوجه التشابه والاختلاف في مناهج المفسرين والمحدثين، تكاد تكون حقيقة ثابتة يدركها كل من كان له إطلاع ومعرفة في مناهج المحدثين والمفسرين، والاختلاف واضح وجلي حيث اختلفت أنظارتهم وطرقهم ومناهجهم في التفسير تبعاً لاختلاف مشاربهم فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية فتوسع توسعاً كبيراً في شرح الآيات المتصلة بهذه المعاني، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي وهكذا من توسع في القصص والأخبار ومن توسع في الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله في الأنفس والأفانق، وكذلك يتميز منهج المفسرين الذي يعتمد في تفسيرهم على المقارن والموضوعي والإجمالي والتحليلي والفقهية والعلمية واللغوية،

أما منهج المحدثين يتميز بأنه يعتمد على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة، والتفتيش في حديث الراوي، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وكشف الموضوع، والاهتمام الكبير بالسنة النبوية "الذي يستند على نقد السند والمتن أيضاً، وبيان ما فيها من التهاافت والتناقض والتكاذب." (أبو البقاء الهاشمي، 1419هـ/1998م) إذ إن من منهج المحدثين هو معرفة ضعف بعض متون السنة مخالفتها للقرآن الكريم" (لراجحي، 1424)

أوجه التشابه:

إن أوجه التشابه بين منهج المحدثين ومنهج المفسرين، واضح للأصحاب العلم والمعرفة فهم يتفقون أن الغاية واحدة، وهي الوصول إلى صحة الكلام المنقول للمفسر للآيات الله تعالى سواء أكان تفسيراً بالمأثور أو تفسيراً بالرأي بشرط أن يكون صحيحاً، وكذا يتفقون من أنه لا بد من صحة الحديث المروي عن رسول الله ﷺ، سنداً وممتناً، كما أنه يتفقون في رد كل تفسيراً للآية أو تأويل ما يحتمل تأويله إلا بدليل، كما يردون أي نص أو كلام تحوم حوله الشكوك والشبهات ولا بد من "معرفة جيدة بالقرآن، لأن ذلك هو الأساس في إدراك أوجه الترابط بين الآيات والصور، ومعرفة بأساليب اللغة العربية، لأن القرآن نزل بلغة العرب، وراعى ما كان سائداً عندهم من أوجه البيان والتعبير، معرفة السيرة النبوية، لأنها هي الأساس في تفسير القرآن، وفي فهم ما ورد فيه من أحكام، وما اشتمل عليه من معان وتوجيهات، قدرة ذاتية على التماس أوجه التشابه والترابط والتناسب بين الآيات، وهذه القدرة تحتاج لاستعداد ذاتي." (النبهان، 1426 هـ/ 2005م).

أوجه الاختلاف

إن أوجه الاختلاف بين منهج المفسرين ومنهج المحدثين، واضح للعيان حيث يمكن معرفته بسهولة، حيث إن منهج المفسرين يعتمد على التفسير المقارن والموضوعي والإجمالي والتحليلي والفقهية والعلمية واللغوية، وتعددت مناهج المفسرين بعد ذلك، فوجد من المفسرين من اعتنى بجمع التفسير المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين، وهكذا تعددت مناهج المفسرين وكثرت التفاسير، وهي تعكس في ذلك تنوع ثقافة العلماء في العصور الإسلامية، وتنوع اهتماماتهم العلمية أيضاً، بينما يعتمد منهج المحدثين على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة، والتفتيش في حديث الراوي، وتميز الصحيح من غيره، وكشف الموضوع، والاهتمام الكبير بالسنة النبوية، إذن الاختلاف واضح من خلال ما ذكر فكل واحد منهما منهجه، وركائزه التي يرتكز عليها.

5. النتائج

من خلال ما تقدم من دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين مناهج المفسرين والمحدثين تبين ما يلي:

- 1- أن لكل من المفسرين والمحدثين اتجاه ومنهج في التفسير لا يتأثر بالآخر من أي اتجاه، بالرغم من وجود التشابه حسب ما ذكر آنفاً.
- 2- واتضح أيضاً أن منهج المفسرين يعتمد بصورة رئيسية على التفسير المقارن والموضوعي والإجمالي والتحليلي والفقهية والعلمية واللغوية. وكذلك "مناهج المفسرين وفقاً لاختلاف المذاهب الفقهية والعقدية" لهم، (التيامي، 1979م)
- 3 - اعتماد المحدثين بالدرجة الأولى على نقد السند والمتن وبيان الاختلاف بين الرواة، والتفتيش في حديث الراوي، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، وكشف الموضوع، والاهتمام الكبير بالسنة النبوية "الذي يستند على نقد السند والمتن أيضاً، وبيان ما فيها من التهاافت والتناقض والتكاذب" (أبو البقاء، 1419هـ/ 1998م)، إذ إن من منهج المحدثين هو معرفة ضعف بعض متون السنة مخالفتها للقرآن الكريم" (لراجحي، 1424).
- 4 - تبين أن هناك أوجه تشابه من حيث اعتماد كلا الجانبين على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما نقل عن الصحابة ومن جاء ممن بعدهم، متى ما تأكدوا من صحته، لكن هناك شيء مهم أن لكل منهجه وسياسته وأطروحاته ورنثيه ومنهجه في التفسير.
- 5 - ومن النتائج التي لا بد من الإشارة إليها، هي أوجه الاختلاف فيما بين المنهجين فكل واحد منهما اتجاهه ومنهجه ومصادره الخاصة به، ولهذا توصلت الدراسة إلا أنه هناك اختلاف في العموم بينهما، وإن لكل منهج شروطه وضوابطه الخاصة به.

6. التوصيات:

ولعلنا في المستقبل نجد شبابنا الذين يشروعون في كتابة رسائل الدكتوراه، أو يحبون البحث العلمي الجاد ينقبون عن آراء العلماء والباحثين في معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين منهج المحدثين ومنهج المفسرين، وينشرون قدر المستطاع كل لآراء في هذا المجال سواء صدرت عن علماء التفسير أو علماء الحديث أو عن من له اهتمام ومعرفة في هذا المجال.

ولعلنا نجد من شبابنا أيضاً من يقوم بمهمة جمع آراء العلماء والمهتمين في هذا الجانب، فيكون لنا مذهب ورئي في هذا المجال.

والله أعلم

المصادر والمراجع

- التيامي، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة. 1979 م التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبعت أسمائه وتصرفت معانيه قدمت له وحقته: هند شلبي. تونس: الشركة التونسية للتوزيع
- الذهبي، محمد السيد حسين. التفسير والمفسرون. القاهرة. الناشر: مكتبة وهبة
- أبو البقاء الهاشمي صالح بن الحسين الجعفري 1419هـ/ 1998م تحجيل من حرف التوراة والإنجيل / المحقق: محمود عبد الرحمن قدح الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى
- الراجحي عبد العزيز بن فيصل 1424 هـ قمع الدجاجة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة الرياض الناشر: مطابع الحميضي - الطبعة: الأولى
- مصطلح الحديث وعلومه: موقع الشبكة الإسلامية. 12 جمادى الأولى 1435 (2014/3/13)
- رفعت فوزي عبد المطلب المدخل إلى توثيق السنة

- القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم (د.ت) *الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف* المؤلف: تقديم فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي المملكة العربية السعودية الناشر: دار طيبة، الرياض - الطبعة: الأولى.
- الراجحي عبد العزيز بن فيصل 1424 هـ - 2005 م *المدخل إلى علوم القرآن الكريم* الناشر: مطابع الحميضي - الرياض الطبعة: الأولى.
- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي 1407 - 1987 *الجامع الصحيح المختصر* ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق المؤلف: الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة .
- المغربي، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعني، (د.ت)، *النبر التمام شرح بلوغ المرام*، المحقق: علي بن عبد الله الزين، الناشر: دار هجر.
- ابن حنبل أحمد بن حنبل 1420 هـ ، 1999 م *مسند الإمام أحمد* ، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية.